نظـرة الامويين للحكـم

الدكتور زريف المعايطة
قسم التاريخ — كلية الآداب
جامعة مؤتة
مؤتة — الكرك
الاردن

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى القاء الضوء على الاسس التي اعتمدها الامويون في إثبات حقهم في الخلافة والحكم ، اذ رأوا أن الله سبحانه وتعالى هو الذي اختارهم للخلافة والحكم مستندين في ذلك إلى مبدأ الجبر . ولذا فقد تلقبوا بالقاب تدل على هذه المكانة ، لكي يضفوا على دعوتهم نوعاً من القداسة الدينية . كما إدّعوا انهم أقرباء الخليفة عثمان بن عفان وانهم ورثته .

ولذا فهم أحق الناس بالحكم . وذلك لانهم يتمتعون بصفات عربية اصيلة . وبناء عليه فقد وضعوا نظرية معدن الخلافة والملك مؤكدين أن الخلافة لاتصلح الا لهم وحتى يثبتوا هذه النظريات فقد اتكأوا على شعراء ليكونوا السنة تلهج بدعوتهم .

"The Outlook of the Umayyads to Governorship"

Abstract

The study aims at shedding light on the principles which the Umayyad caliphs depend upon in proving their legitimate right in caliphate and governorship. They thought that God has chosen them for caliphate and governorship depending on the principle /Aljabr/ : the inescapability of fate or fatalism. So, they were named by nicknames which suggest this status, so as to give this claim a sort of holly sanctity. They also claimed that they are the legitimate relatives and inheritors of the caliph Uthman ibn Affan. Therefore they have the right to governorship.

They used to enjoy an original Arab characteristicis. They also come up with the theory of caliphate. The Umayyads emphasize that caliphate does not suit anyone other than themselves. They depend on poets, who used to be their spokesmen, to prove these theories.

نظرة الامويين للحكم

جاءت الدولة الاموية نتيجة تفوق الاتجاه القبلي وإنتصار مؤيديه ، فهي منبثقة من اوضاع العرب واستعدادهم .

إن رسوخ قدم الامويين وإنشاء الدولة الاموية مظهر لمواتاة الظروف العامة لقيام مثل ذلك الحكم ، ودليل على ان الدولة الاموية ظاهرة طبيعية للتطور العام .

لقد بقي الامويون يمثلون سيادة قريش امام القبائل ، وتكون شعور بانهم يمثلون السيادة العربية على العجم . ومع ذلك فإن إنقسام قريش حول مسألة الخلافة إستمر ، كما أن العرب كانوا متباينين في نظرتهم إلى بني أميّة .

وإن حللنا ظروف الامويين لاحظنا ان صلتهم بالعرب كانت لا تخلو من توتر احياناً . فقد عُدوا بنظر قسم من العرب مغتصبين للسلطان ، اخذوا الخلافة بالقوة لا بالانتخاب . وكان مجيء معاوية إلى الخلافة نتيجة لتوافر الظروف في جانبه . ثم أن معاوية ادخل مبدأ جديداً في نظام الخلافة وهو مبدأ الوراثة المباشرة (١) .

ومنذ تولي معاوية بن ابي سفيان الخلافة اصبح مبدأ الجبر فلسفة الامويين ، يحاولون من خلاله تبرير خلافتهم .فأعلنوا للناس أن الله سبحانه وتعالى إختارهم للخلافة ، فورد عن معاوية قوله : «لو لم يرني ربي أهلاً لهذا الأمر ما تركني وإياه ، ولو كره الله تعالى ما نحن فيه لغيره» (٢) .

---

(١) الدوري ، عبدالعزيز ، ١٩٦١ ، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ص٦٢–٦٣ .

(٢) القاضي عبدالجبار ، محمد ، ١٩٧٤م ، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، تحقيق فؤاد السيد ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ص١٤٣–١٤٤ .

وحث الأحنف بن قيس التميمي معاوية بن ابي سفيان على التريّث في بيعة إبنه يزيد ، فردّ عليه معاوية قائلا : «يا أبا بحر فإن خيرة الله تجدي ، وقضاء الله يجري ، وأحكام الله تنفذ ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ، وان يزيد قد بلوناه ، ولم نجد في قريش فتى هو أجدر بأن يجتمع عليه منه» (١) .

وبعد إختيار مروان بن الحكم خليفة في مؤتمر الجابية عام ٦٥هـ ، خاطبه حسّان بن مالك بن بحدل قائلا : «يا مروان والله ما كلهم يرضى بك» فأجابه مروان : «ان يرد الله أن يعطينها ، لا يمنعني إياها احد من خلقه : فقال له حسّان صدقت» (٢) .

وعندما قتل عبدالملك بن مروان بن سعيد الأشدق ، امر عبدالملك برأس عمرو بن سعيد ان يطرح من اعلى القصر ، فطرح إلى اتباعه وطرحت معه الدراهم والدنانير ، ثم اعلن فيهم قائلا : «إن امير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والامر النافذ» (٣) .

وعندما اراد هشام بن عبدالملك خلع الوليد بن يزيد عن ولاية العهد كتب اليه الوليد : «فقد كتب اليّ من العهد ، وكتب إليّ من العمر وسبب لي من الرزق ، ما لا يقدر احد دونه تبارك وتعالى على قطعه عنّي دون موته ولا صرفه عن مواقفه المحتومة ، فقدر الله يجري على ما قدره ، بما احب الناس

---

(١) مؤلف مجهول ، (دت) ، الامامة والسياسة ، تحقيق محمد طه الزيني ، بيروت ، ج١ ، ص١٦١–١٦٢ . والحصري القيرواني ، أبو اسحاق ، ١٩٥٣م ، زهر الاداب وثمر الالباب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط١ ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ج٢ ص٦٤٥ .

(٢) الطبري ، محمد ، ١٩٦٦م ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، ج٥ ، ص٥٣٦–٥٣٧ .

(٣) مؤلف مجهول ، الامامة والسياسة ، ج٢ ، ص٢١–٢٢ .

وكرهوا ، لا تعجيل لعاجله ، والناس بعد ذلك يحتسبون الاوزار ، ويعتزمون الآثام على انفسهم من الله بما يستوجبون العقوبة عليهم فرد عليه هشام قائلا : «وأما ما ذكرت مما سببه الله لك ، فإن الله قد ابتدأ امير المؤمنين بذلك واصطفاه له ، والله بالغ امره ، ولقد اصبح امير المؤمنين وهو على يقين من رأيه ، الا انه لا يملك لنفسه مما اعطاه الله من كرامته ضراً ولا نفعاً ، وان الله ارأف بعباده وارحم من يولي امرهم غير من يرتضيه لهم ، وان امير المؤمنين مع حسن ظنه بربه لعلى احسن الرجاء لأن يوليه بسبب ذلك عن هو اهله في الرضا به» (١) .

ووردت ايضاً روايات تفيد ان مبدأ الجبر قد ظهر في العصر الراشدي ، فمعاذ بن جبل يخاطب ابا بكر الصديق : «أن الله بعث محمد صلى الله عليه وسلم برسالته إلى خلقه فبلغه الله ما احب أن يبلغ ،وكان كما أحب ربه أن يكون فقبضه الله وهو محمود مبرور صلوات الله عليه ، ثم ان الله استخلفك ايها الصديق على ملأ من المسلمين ورضي منهم» (٢) .

وعندما تولى عمر بن الخطاب الخلافة قال : «ايها الناس إن الله ولاني امركم وقد عملت انفع ما لكم واسأل الله أن يعينني عليه ، وأن يحرسني عنده كما حرسني عند غيره ، وأن يلهمني العدل في قسمكم كالذي امر به ، فإني عبد مسلم وعبد ضعيف الا ما اعان الله» (٣) .

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص ٢١٢-٢١٤ .

(٢) الأزدي ،محمد ، ١٩٧٠م ، فتوح الشام ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، القاهرة ، ص١٩-٢٠ وهناك مثال آخر في : الذهبي ، محمد ، ١٩٧٩م تاريخ الاسلام ، تحقيق حسام الدين القدسي ، مطبعة القدس ، القاهرة ، ص٨ .

(٣) إبن أبي الحديد ، عبدالحميد ، ١٩٥٩م ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ج١٢ ، ص١٠٩ .

وعندما طلب الثائرون في المدينة من عثمان أن يعتزل الخلافة ردّ عليهم قائلا : «ما كنت لانزع قميصاً قمصنيه الله» (١) ، وعن يزيد بن الاسود بن قيس بن مالك النخعي ، قال: «قلت لعائشة : «ألا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع اصحاب رسول الله (ص) في الخلافة ؟ فقالت : وما تعجب من ذلك ؟ وهو سلطان الله يؤتيه البر والفاجر ، وقد ملك فرعون اهل مصر اربعمائة سنة» (٢) .

وقد اعتمد اهل مبدأ الجبر على بعض الآيات القرآنية التي تؤيد اراءهم ، قال تعالى : «وما تشاؤون الا أن يشاء الله ، ان الله كان عليماً حكيماً ، يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعدّ لهم عذاباً اليما » (٣) . وقال تعالى : «إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم» (٤) .

ووردت أيضاً احاديث نبوية تؤكد مبدأ الجبر الذي نادى به الخلفاء الامويون ، قال رسول الله (ص) : «أن الله عز وجل لو عذب اهل سماواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من اعمالهم ، ولو كان لك مثل جبل احد ذهبا انفقته في سبيل الله ما قبله الله منك ، حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما اصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما اخطأك لم يكن ليصيبك ، فإن مت على غير هذا دخلت النار» (٥) .

---

(١) البلاذري ، أحمد ، ١٩٣٦م ، أنساب الاشراف ، نشر غوتين ، القدس ، ج ٥ ، ص ٦٦–٦٧ . والطبري ، تاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٧١ .

(٢) إبن كثير ، أبو الفداء ، ١٩٦٤م ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ج ٨ ، ص ١٣٦ .

(٣) سورة الانسان ، آية ٣٠ . انظر تفسير هذه الآية في أبن كثير ، أبو الفداء ، ١٩٦٩م ، تفسير القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج ٤ ، ص ٤٥٧–٤٥٨ .

(٤) سورة البقرة ، آية ٦ ، ٧ ، أنظر تفسير هذه الآية في أبن كثير ، ج ١ ، ص ٤٥–٤٦ .

(٥) أبو داود ، سليمان ، (د–ت) ، سنن أبي داود ، راجعه محمد محيي الدين عبد الحميد دار إحياء التراث ، بيروت ، ج ٤ ، ص ٢٢٥ .

وعن ابي هريرة قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : «التقى موسى وآدم عليهما السلام ، فقال موسى لآدم : «انت أبو الناس الذين اغويتهم واخرجتهم من الجنة ، فقال آدم : اوتلومني على عمل قد كتبه الله عليّ أن اعمله ، وقبل أن اخلق فحج آدم وموسى» (١) . وقال رسول الله (ص) : «يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين ليلة او بخمسين ليلة ، فيقول : أي رب ذكر ام انثى ، فيقول الله ويكتب الملك ، فيقول : أي رب شقي ام سعيد ، قال : فيقول الله ، ويكتب رزقه وعمله واجله ثم يطوي الصحيفة ، فلا يزاد على ما فيها ولا ينقص» (٢) . وهكذا فإن الامويين لم يستخدموا فكراً غريباً عن المسلمين بل فكراً معروفاً عندهم ، بل أن الايمان بالقدر خيره وشره ، هو احد عناصر الايمان عند المسلمين (٣) .

واستخدم الامويون الشعراء وسيلة إعلامية لاعلان ونشر نظريتهم في الجبر ، بهدف إقناع اكبر عدد ممكن من الناس بالجبر ، فأشاع الشعراء بين الناس أن الله سبحانه وتعالى هو الذي إختار بني أميّة للخلافة ، ولا مجال لتغيير إرادة الله .

لذا ظهر مذهب الجبر في الخلافة في الشعر الاموي ، وتمثل الشعراء الموالون للامويين نظريتهم في الخلافة ، واتخذوها اساساً لتصويب حقهم

---

(١) البخاري ، محمد ، ١٩٣٧م ، صحيح البخاري ، المطبعة البهية ، القاهرة ، ج٢٤ ، ص٨٤ . ومسلم ، أبو الحسين ، ١٩٧٨م ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت ، ج٤ ، ص٢٠٤٢ . وأبو داود ، سنن ، صحيح ، ج٤ ، ص٢٠٣٨ .

(٢) البخاري ، صحيح ، ج٢٣ ، ص٧٢ . وابي داود ، سنن ، ج٤ ، ص٢٢٨ . ومسلم صحيح ، ج٤ ، ص٢٠٣٨ .

(٣) ابو داود ، سنن ، ج٤ ، ص٢٢٤ ، ومسلم ، صحيح ، ج١ ، ص٢١٥٧ ، وابن ماجه ، أبو عبدالله ، ١٩٧٥م ، سنن أبن ماجه ، تحقيق فؤاد عبدالباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ج١ ، ص٣٢-٣٥ .

في الملك والاحتجاج له والدفاع عنه . والشواهد على ذلك كثيرة وبعضها يكرّر بعضاً فهم دائماً يُبدئون ويُعيدون في معنى واحد ، وهو ان الله قلدّ الامويين الخلافة ، وانهم ظل الله في الارض وسلطانه على الناس ، فمنها قول عبدالله بن همام السلولي ليزيد بن معاوية مُقرراً أن الله اختاره لولاية امر المسلمين (١) :

أصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة واشكر عطاء الذي بالملك أصفاكا

وقول جرير لعبد الملك مؤكداً أنّ الله حباه الخلافة لأنه احق بها وأقوى عليها (٢) :

الله طوقك الخلافة والهدى والله ليس لما قضى تبديل

وقال الفرزدق يمدح الوليد بن عبدالملك (٣) :

اشاروا بها في الأمر غيرك منهم وولاكها ذو العرش نحلا من النحل

منها قول جرير لعمر بن عبدالعزيز منوهاً بان الله فوض اليه الخلافة (٤):

ان الذي بعث النبي محمدا جعل الخلافة في الامام العادل

وقوله له مردداً أن الله خوّله الخلافة (٥) :

نال الخلافة إذ كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر

---

(١) البلاذري ، أحمد ، ١٩٣٨م ، أنساب الأشراف ، نشر ماكس شلوزنجر ، القدس ، ٤٠ ج٤ ، قسم٢ ، ص٥ .

(٢) جرير ، إبن عطية ، ١٩٧٢م ، ديوان جرير ، جمع وشرح محمد اسماعيل الصاوي الطبعة الاولى ، دمشق ، مكتبة محمد حسين النوري ، بيروت ، الشركة اللبنانية ، ص٧٤

(٣) الفرزدق ، همام ، ١٩٦٦م ، ديوان الفرزدق ، دار صادر ، بيروت ، ج٣ ، ص١٤٥ ١٤٨ .

(٤) جرير ، الديوان ، ص٤١٥ ، وابن الجوزي ، ابي الفرج عبدالرحمن ، ١٩٨٤م ، سيرة عمر بن عبدالعزيز ، تحقيق نعيم زرزور ، الطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية بيروت ، ص٣٠٠ .

(٥) جرير ، الديوان ، ص ٤١٥ . وابن الجوزي ، سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص٢٠٠ ، والجريري أبو الفرج ، ١٩٨١م ، الجليس الكافي والانيس الناصح الشافي ، تحقيق محمد مرسولي الخولي ، الطبعة الاولى ، عالم الكتب ، بيروت ، ج١ ، ص٢٥٦ .

ومنها قول جرير ليزيد بن عبدالملك مصرّحاً بأن الله وهبه الخلافة وآثره بها ، لورعه وتقواه ، وبُعد همته وحُسن تدبيره (١) :

أما يزيد فإن الله فهمه حكماً وأعطاه مُلكاً واضح النور
يكفي الخليفة ان الله فضله عزم وثيق وعقد غير تغرير (٢)

والابيات السابقة وثائق حية صادقة لها قيمة فائقة ، لأنها تصور نظرية الامويين في الخلافة ، وتاريخ نشرهم لها ، ومبلغ الحاحهم عليها ، ومقدار اعتقاد انصارهم بها ، مما يوافق الاخبار التي رويت في ذلك ويؤيدها تأييداً شديداً ، ومما يزيد عليها زيادة كبيرة ، تستدرك ما اخلّت به ، وتوضحه توضيحاً دقيقاً .

فهي تدل على أن الامويين اظهروا نظرية الجبر في الخلافة في عهد معاوية إبن ابي سفيان وأن المروانيين منهم تمسكوا بها ، واعتمدوا عليها لاثبات حقهم في الملك وتعليل استجابتهم له ، وتفسير استئثارهم به ، فقد كانوا يزعمون أن الله إختارهم للخلافة ، وخصّهم بها ، لأنهم احسن المسلمين صلاحاً وفضلا ، واكثرهم تُقى وورعاً وأدقهم علماً وحكماً وأصدقهم جهاداً ونضالا ، واشهرهم إنصافاً وعدلا ، مما لم ترد فيه أخبار من أيام مروان بن الحكم إلى أيام هشام بن عبدالملك الا قليلا .

وعلى اساس القول بأن الله سبحانه وتعالى إختار الامويين للخلافة ، فانهم حاولوا إكساب انفسهم صفات دينية ، وذلك بتعظيم مكانة الخلفاء وتشبيههم بالانبياء في صفاتهم واخلاقهم ، ولذلك فمكانهم الجنة بالقرب من الانبياء .
فقال الفرزدق يمدح يزيد بن عبدالملك (٣) :

(١) جرير ، الديوان ، ص٢٥٢ ، ٢٥٧ .
(٢) غير تغرير ، لايقود الى الهلكة .
(٣) الفرزدق ، الديوان ، ص٢١٣ — ٢١٦ .

لو لم يبشر بـه عيسى وبنيـه كنـت النبي الذي يدعو إلى النور
فأنت اذا لم تكـن إياه صاحبه مـع الشهيدين والصديق في السور
في غرف الجنة العليا التي جعلت لهم هناك بسعي كان مشكـور

وقال الفرزدق يمدح هشام بن عبدالملك بمثل ذلك محاولا إكسابه صفات الانبياء والرسل (١) :

يقول ذوو العلـم الذين تكلموا به عـن رسول الله من كل عالم
ولو أرسل الروح الامين إلى امرىء سوى الانبياء المصطفين الاكارم
اذا لاتت كفى هشـام رسالـة مـن الله فيهـا منـزلات العواصم

ومن اجل اكساب هذه الصفات الدينية الصدق ، حاول الشعراء إظهار الامويين بانهم شديدو الورع والتقوى ، فقال نابغة بني شيبان يمدح يزيد بن عبدالملك (٢) :

يقطـع الليـل آهـة وانتحـابـا وابتهـالا لله أي ابتـهـال
تـارة راكعـاً وطوراً سجودا ذا دمـوع تنهـل أي انهـلال
عـادل مقسـط وميـزان حـق لـم يحف في قـضائـه للـوالـي

وادّعى الامويون أن بقاء الخليفة يعني بقاء الاسلام ، واستمروا في تأدية الشعائر الاسلامية فلولا الخلفاء لم تقم شرائع الدين ولم تنفذ احكامه ، فوجود الخليفة ضروري لوجود الدين واستمراره ، فيقول الوليد بن يزيد في كتاب العهد لابنيه الحكم وعثمان : «ثم استخلف الله خلفاءه على منهاج نبوته ، حين قبض نبيه (ص) وختم به وحيه لانفاذ حكمه ، واقامة سنته وحدوده ،

---

(١) الفرزدق ، الديوان ، ج٢ ، ص٢٠١ — ٢٠٢ .
(٢) النابغة الشيباني ، عبدالله ، ١٩٣٢م ، ديوان نابغة بني شيبان ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ص٦٨ ، ٦٩ .

والأخذ بفرائضه وحقوقه ، تأييداً بهم للاسلام ، ودفعاً بهم عن صريحه واصلاحاً بهم لبلاده ، فانه تبارك وتعالى يقول: «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض (١) ، ولكن الله ذو فضل على العالمين (٢) » .

وقال جرير يمدح عبدالملك بن مروان (٣) :

لـولا الخليفـة والقـرآن يقـرأه مـا قـام لناس احكام ولا جـمـع

ونتيجة لهذه المكانة التي إدّعاها الامويون لأنفسهم ، فقد اعلنوا ان كل خروج او ثورة عليهم هو خروج على طاعة الله وعلى الاسلام ، وبالتالي فإن هذا الخروج يعد كفراً بالاسلام ، فعندما اجتمع حسّان بن مالك بن بحدل بأنصار بني أمية في الاردن خاطبهم قائلا : «يا أهل الاردن ما شهادتكم على إبن الزبير ، وعلى قتلى اهل الحرة ؟ قالوا : نشهد ان ابن الزبير منافق وأن قتلى اهل الحرة في النار : فما شهادتكم على يزيد بن معاوية وقتلاكم بالحرة؟ قالوا : نشهد أن يزيد على الحق ، وأن قتلانا بالجنة» (٤) .

وعندما خرج عمرو بن سعيد على عبدالملك بن مروان ، خطب في اهل دمشق فقال : «ايها الناس انه لم يقم احد من قريش قبلي على هذا الا زعم ان له جنة وناراً يدخل الجنة من اطاعه والنار لمن عصاه ، واني اخبركم أن الجنة والنار بيد الله ، وأنه ليس من ذي شيء ، غير أن لكم عليّ حسن المؤاساة والعطية» (٥) .

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢٥١ .
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٧١ ، ص٢١٩ .
(٣) جرير ، الديوان ، ص٣٥٤ .
(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ، ص٥٣١، ٥٣٢، والبلاذري ، أنساب، ج ٥ ص١٣٢ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٨ ، ص٢٤٠ .
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٤٠-١٤١ . والمسعودي ، ابي الحسن ، ١٩٦٥ م ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، وضع الفهارس أسعد داغر ،دار الاندلس للطباعة ، بيروت ، ج ١٣ ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

ولما حاول الخلفاء الامويون إعطاء انفسهم مكانة دينية رفيعة ومنزلة مرموقة في نظر الناس من خلال القول بأن الله سبحانه وتعالى اختارهم للخلافة، فقد تلقبوا بالقاب جديدة تدل على هذه المكانة ، وأول هذه الالقاب هو لقب خليفة الله ، فروى عن معاوية قوله : «الارض لله وانا خليفة الله» (١) .

واعتمد الامويون لتبرير استخدامهم لهذا اللقب على بعض الآيات القرآنية التي تدعم رأيهم ظاهرياً (٢) ، ومنها قوله تعالى : «يا داود إنّا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق» (٣) .

وقد اطلق الشعراء على الخلفاء الامويين ، القاباً مختلفة ، لقب امين الله ، فقال جرير يمدح الخليفة عبدالملك بن مروان (٤) :

أنت الامين أمين الله لا يسرف فيما وليت ولا هيابة ورع

ومن الالقاب الاخرى ، لقب الامام ، فقال جرير يمدح الوليد بن عبدالملك (٥) :

إن الوليد هو الامام المصطفى بالنصر هز لواؤه والمغنم
ذو العرش قدر أن تكون خليفة ملكت فاعل على المنابر وأسلم

ومن الالقاب الاخرى لقب خليل الله ، فقال الفرزدق يمدح هشام بن عبدالملك (٦) :

ونحن قيام حيث كانت وطاءة لرجل خليل الله من غير محتد

(١) البلاذري ، أحمد ، ١٩٧٩م، انساب الاشراف ، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الكاثوليكية بيروت ، قسم ٤ ، ج١، ص ١١٦ المسعودي ، مروج الذهب . ج٣ ، ص٤٣ .
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ص ٢١٧ .
(٣) سورة ص ، آية ٢٦ . انظر، تفسير الآية في ابن كثير ، التفسير ، ج١ ، ص٣٢ .
(٤) جرير ، الديوان ، ص ٣٥٤، ٣٥٥ . والفرزدق ، الديوان ، ج٢ ، ص٢٨٤ .
(٥) جرير ، الديوان ، ٤٩٢ .
(٦) الفرزدق . الديوان . ج١ . ص١٤٠-١٤١ .

ومن هذه الالقاب لقب راع ، فقال الفرزدق يمدح الوليد بن عبدالملك (١):

وانك راعي الله في الارض تنتهي اليك نواصي كل أمر وآخره

ولقب الخلفاء الامويون بلقب آخر هو المهدي ، وقد اطلق الشعراء هذا اللقب على الخلفاء الامويين المتأخرين منهم خاصة . فقال الفرزدق يمدح سليمان بن عبدالملك (٢) :

أنت الذي نعت الكتب لنا في ناطق التوراة والزبر

كم كان من قس يخبرنا بخلافة المهدي او حبر

وتسمّى الخلفاء الامويون بلقب المهدي رداً على الفرَقْ الشيعية التي تبنّت فكرة المهدي ودعت اليها ، وكان الايمان بهذه الفكرة يعني عدم الرضا بالخلافة الاموية وانتظار خروج المهدي للاشتراك معه في الثورة على الامويين والقضاء على دولتهم باقامة دولة الحق والعدل ،كما ان الايمان بهذه الفكرة يعطي معتنقيها الأمل بتغيير الحكم الاموي ، فحارب الامويون هذه الفكرة بالادعاء بأن الخليفة القائم هو المهدي ، وانه لا مهدي غيره ، وهم بذلك يدفعون المؤمنين بهذه الفكرة إلى اليأس والقنوط ، لانه لا امل لهم في ظهور المهدي ، فتفترق قوتهم ويضعف حماسهم ويمتنعون عن معارضة الامويين . وتوصل بعض الباحثين إلى أن إطلاق لقب المهدي على الخلفاء الراشدين والامويين كان بمعنى الخلفاء الذين يهدون إلى الخير والرشد (٣) .

---

(١) الفرزدق ، الديوان ، ج١ ، ص ٢٤٨–٢٥١ .

(٢) الفرزدق ، الديوان ، ج١ ، ص٢٦٢ و ٢٦٤ . وجرير ، الديوان ، ص١٤٦–١٥١

(٣) الدوري ، عبدالعزيز ، ١٩٨١–الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الاول مهداة إلى إحسان عباس ، طبع الجامعة الاميركية في بيروت ، ص١٢٤ – ١٢٥ . وانظر القاضي ، وداد ١٩٧٤ ، الكيسانية في الادب والتاريخ ، دار الثقافة ، بيروت ، ص ١٢٣ . عطوان ، حسين ، ١٩٨٦ ، الامويون والخلافة ، دار الجيل ، عمان ، ص٢١ ٢٢ .

وتبنّى الامويون الجبر لدفع الناس لطاعتهم ، والاستسلام لحكمهم ، ومنعهم من التفكير بالثورة عليهم ، ومحاولة تغيير حكمهم ، لأن اي ثورة يقومون بها محكوم عليها بالفشل ، لانها تتعارض مع ارادة الله التي قررت اختيارهم للخلافة .

وقد عبّر الوليد بن يزيد عن هدف الامويين من القول بالجبر فقال : «فتتابع خلفاء الله على ما اورثهم الله من امر انبيائه واستخلفهم عليهم منه ، لا يتعرض لحقهم احد الا صرعه الله ولا يفارق جماعتهم احد الا اهلكه الله ولا يستخف بولايتهم ويتهم قضاء الله فيهم احد الا امكنهم الله منه وسلطهم عليه ، وجعله نكالا وموعظة لغيره ، وكذلك صنع الله بمن فارق الطاعة التي امر بلزومها والاخذ بها والاثرة لها ، والتي قامت السماوات والارض بها ، قال الله تبارك وتعالى : «او كرها قالتا أتينا طائعين» (١) ، فبالخلافة أبقى الله من ابقى في الارض من عبادة وصيره وبطاعة من ولاة اياها سعد من الهمها ونصرها .... والطاعة رأس هذا الامر وذروته وسنامه وملاكه وزمامه ... فالزموا طاعة الله فيما عراكم ونالكم وألمّ بكم من الامور ... (٢) .

ولدفع الرعية لمزيد من اليأس والقنوط وجعلهم يفقدون الامل في تغير الحكم الاموي ، إدّعى الامويون ان الخلافة باقية فيهم إلى يوم القيامة ، فقال الفرزدق (٣) :

فلن تزال لكم والله أثبتها فيكم إلى نفخة الرحمن في الصور

ويقول معاوية لأولئك النفر الذين امتنعوا عن البيعة لابنه يزيد : «إنما كان

(١) سورة فصلت ، آية ١١ .
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢١٩ .
(٣) الفرزدق ، الديوان ، ج١ ، ص٢١٤ .

هذا الامر لبني عبد مناف ، لانهم اهل رسول الله(ص) ، فلما توفي رسول الله(ص) ولىّ الناس ابا بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة غير انهما سارا بسيرة جميلة ثم رجع الملك إلى بني عبدمناف فلا يزال فيهم إلى يوم القيامة» (١) .

ومن الاسس الاخرى التي اعتمد عليها الامويون في ادعائهم أحقيتهم بالخلافة ، القول بأنهم ورثة الخليفة عثمان ، وانهم جاؤا للانتقام من قتلته، فمعاوية بن ابي سفيان رفض بيعة الخليفة علي وحاربه في صفين معتمداً على انه قريب الخليفة عثمان ويحق له المطالبة بالثأر له من قتلته ، ، واستطاع معاوية إقناع اهل الشام بجديّة مطلبه هذا ، ولكن معاوية استغل هذا الطلب للوصول للخلافة ، فبعد ان اصبح خليفة لم يتتبع احداً من المتهمين بقتل عثمان، وقال بعد ان بويع بالخلافة عام ٤١هـ : «ألا واني قد طلبت بدم عثمان قتل الله قاتليه ورد الامر إلى اهله ، على رغم مغاطس اقوام» (٢) .

ولم يتتبع المروانيون سياسة معاوية المتسامحة مع المتهمين بقتل عثمان ، بل قاموا بقتل بعضهم ، فعندما وصل الحجاج بن يوسف إلى الكوفة والياً عليها قتل كميل بن زياد النخعي ، وعمير بن ضابيء البرجمي ، وهما ممن اتهم بقتل الخليفة عثمان (٣) .

---

(١) مؤلف مجهول ، الامامة والسياسة ، ج١ ، ص١٥٠ .

(٢) البلاذري ، أحمد ، ١٩٧٧م ، أنساب الاشراف ، تحقيق محمد باقر المحمودي ، بيروت ، ج٣ ، ص٤٦ ، ٤٧ .

(٣) البلاذري ، أحمد ، أنساب الأشراف (مخطوط) ، نسخة استانبول ، المكتبة السليمانية رقم ٥٩٨ ، قسم٢ ، ص٤ . وأنظر الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٢٠٧ . وأبن سعد ، محمد ، ١٩٧٥م ، الطبقات الكبرى ، دار بيروت ودار صادر ، بيروت ، ج٦ ، ص١٧٩ .

وقتل مروان بن الحكم ، الاكدر بن همام بن عامر بن صعب ، سيد قبيلة لخم في مصر ، وكان ممن سار إلى الخليفة عثمان (١) .

وعمل الشعراء على نشر هذا الادعاء الاموي بين الناس ، فقال الفرزدق يمدح عبدالملك بن مروان ووالية الحجاج بن يوسف (٢) :

هو السيف الذي نصر ابن اروى به مروان عثمان المصابا
اذا ذكرت عيونهم ابن أروى ويوم الدار اسهلت انسكابا
تراث عثمان كانوا الاولياء له سر بال ملك عليهم غير مسلوب

وادعى الامويون انهم احق بالخلافة لانهم ورثة الرسول (ص) محتجين بقرابتهم من الرسول (ص) ، وقد مر بنا ما قاله معاوية في اثناء البيعة ليزيد ، مخاطباً المعارضين لبيعة يزيد من أهل المدينة : «وعندما تولى العباسيون الحكم دخل على ابي العباس مشيخة من اهل الشام فقالوا :«والله ما علمنا ان لرسول الله (ص) قرابة يرثونه الا بني أمية حتى وليتم» (٣) .

يؤيد هذا الادعاء الاموي ماورد في اشعار الشعراء ،فيقول لفرزدق ليزيد إبن عبدالملك (٤) :

ورثتم خليل الله كل خزانة وكل كتاب بالنبوة قائم

ويقول الفرزدق ايضاً لمعاوية بن هشام بن عبدالملك (٥) :

ورثوا تراث محمد كانوا به آولى وكان لهم من الاقسام

(١) الكندي ، محمد ، ١٩٥٩م ، ولاة مصر ، تحقيق حسين نصار ،دار صادر ،بيروت ص٦٧ .
(٢) الفرزدق ، الديوان ، ج١ ، ص٢٣-٢٦ .
(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٣، ص١٥٩ ، والمسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ص٤٣ .
(٤) الفرزدق ، الديوان ، ج٢ ، ص٢٨٢ .
(٥) الفرزدق ، الديوان ، ج٢ ، ص٢٨٣ .

ولما ادعى الأمويون أن الخلافة لاتصلح الا لهم ، اوجدوا نظرية معدن الملك والخلافة ، وهدفوا من ذلك الى تدعيم سيطرتهم وخلافتهم ، وأول ماتظهر هذه النظرية عند معاوية (١) :

وفي مؤتمر الجابية عام ٦٥هـ ، دار نقاش بين عبدالله بن عضاه الاشعري وحسّان بن مالك بن بحدل ، فقال ابن عضاه : «أراك تريد هذا الامر لخالد إبن يزيد وهو حدث السن ، فقال له حسان: «انه معدن الخلافة ومقر الرياسة والسياسة» (٢) .

وادعى الأمويون انهم يستحقون الخلافة لما يتمتعون به من صفات تؤهلهم لتولي الخلافة ، وهي صفات كان من الضروري توفرها فيمن يتولّى الزعامة عند العرب قبل الاسلام ، ومن هذه الصفات ، الكرم والحلم والشجاعة والسن المناسبة والعدل والحكمة والمكانة الرفيعة في القبيلة .

وهكذا فان الامويين نظروا الى أن الخلافة جاءتهم من الله سبحانه وتعالى، ولم تصل اليهم عن طريق بيعة الناس لهم ، وهذه النظرة تشبه مايعرف بنظرية الحق الآلهي المقدس في الحكم ، والتي سادت عند بعض الشعوب القديمة مثل الفراعنة والبيزنطيين والفرس وحتى عند دول اليمن في جنوب الجزيرة العربية (٣) .

وهذا يعني أن سلطة الخليفة مستمدة من الله ، لذلك يجب على الرعية طاعته والانقياد له، لان أوامره ونواهيه هي بمثابة قانون سماوي، ومن هذا المنطلق لقّب الخلفاء الامويون بألقاب تدلّ على هذه المكانة العظيمة التي

---

(١) مؤلف مجهول ، الامامة والسياسة ، ج١ ، ص١٥٠ .
(٢) البلاذري ، أنساب الاشراف ، ج٥ ، ص١٢٧-١٢٩ .
(٣) الدوري ، عبدالعزيز ، ١٩٥٠ م ، النظم الاسلامية ، مطبعة بغداد ، ص١١-١٣ .

تمتعوا بها مثل خليفة الله ، راعي الله ، ظل الله، خليل الله ، وهذا يعني ايضاً انه ليس من حق الرعية محاسبة الخليفة على أعماله وأفعاله ، لأن الخليفة لم يصل الى الحكم ببيعة الناس له ، وأن الله سبحانه وتعالى قرر هذه الاعمال . وهدف الامويين من ذلك اقناع الرعية بالانصياع للحكم الاموي ، واقناعهم بعدم اللجوء للثورة لتغيير خلافتهم ، لانه لاجدوى من وراء هذه الثورات لان الله سبحانه وتعالى هو القادر على ابعاد الامويين عن الخلافة وليست الامة .

وهذا يناقض ماكان معروفاً عند الخلفاء الراشدين ، الذين كانوا يرون ان الامة هي التي تملك الحق في تعيين الخلفاء وعزلهم وقتما شاءت اذا خالف الخلفاء التعاليم الاسلامية ، فأبو بكر يطلب من الرعية في أول خطبة مراقبة اعماله ، وتصحيحها اذا اخطأ (١) .

وفي سبيل اقناع الناس بصحة الادعاء الاموي ، بأحقيتهم بالخلافة ، فقد نسب الامويون الى انفسهم صفات كانت مرموقة في نظر العرب ، منها أنهم سادة العرب عامة وقريش خاصة، وأنهم أكرم الناس وأكثرهم عطاء وأكثرهم قدرة على قتال الاعداء ، ونتيجة لذلك فإن الخلافة لاتصلح الا للأمويين ، فهم معدن الملك والرياسة ، وان أي شخص يحاول الوصول الى الخلافة سوف تبوء محاولته بالفشل ، لان الخلافة باقية فيهم الى يوم القيامة فيقول مسلمة بن عبد الملك بعد ثورة يزيد بن المهلب : « أترى هؤلاء القوم قد خرجوا علينا كانو يظنّون ان الخلافة فيهم لئن كانوا ظنّوا ذلك فقد ظنّوا إفكا وزوراً» (٢) .

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، ص٢٢٣ ، ٢٢٤ . وانظر الزبير بن بكار ، ١٩٧٢م ، الاخبار الموفقيات ، تحقيق سامي مكي العاني ، مطبعة العاني ، بغداد ، ص٥٧٩ .

(٢) ابن اعثم الكوفي ، ابي محمد ١٩٦٨م ، الفتوح ، الطبعة الاولى ، مطبعة مجلس المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ج٨ ، ص٢١ .

ويبدو من كل ماتقدم من الاخبار والاشعار أن الامويين تذرعوا بمقتل عثمان الى طلب الخلافة والظفر بها ، فأظهروا انه قتل بغير حق ، وانهم ثائرون به ، منكرون لقتله، مصرون على الاخذ بثأره ، لأنهم اقرباؤه وأولياء دمه . وقاد معاوية صفوفهم ، ونازع علياً في الخلافة ، وغالبه عليها ، فلما اغتيل علي حصل معاوية على الخلافة واستبد بها .

واشاع الامويون بعد ذلك انهم اصحاب الخلافة واربابها ، واولى الناس بها وان لهم حظاً مشروعاً فيها، فانها جاءت عثمان عن مشورة وبيعة، وهم أحق بوراثته لانهم عصبته وأهل بيته ، ولم يزالوا يرددون ذلك ويحتجون به لحقهم في الخلافة الى وقت متأخر من دولتهم .

ولكنهم تبينوا في زمن مبكر ، بل في الشطر الاول من عهد معاوية أن حجتهم في الطلب بدم عثمان انما تخول لهم الاقتصاص من قتلته ، ولا تنقل اليهم الخلافه عنه ، ووجدوا أن ماذكروه من انهم ورثوا الخلافة عنه لايكون لهم نظرية واضحة في الخلافة تقوم على أسس تلقى بعض القبول وتقوى على الصمود أمام نظريات الفرق الاخرى في الخلافة ، فجنحوا الى مذهب الجبر في الخلافة واعتمدوا عليه لاثبات حقهم فيها ، واستندوا اليه لتسويغ سيطرتهم عليها ، فأذاعوا ان الله قلدهم الخلافة واعطاهم الملك وانهم يسوسون بقضائه وقدره ويعملون باذنه وأمره ، واضفوا على خلافتهم مسحة من الجلالة ، وخلعوا على شخصياتهم ألواناً من الالقاب الدينية . وجدوا في نشر نظريتهم والتبشير بها ، ونشطوا في شرحها ، والدعوة اليها، وكان الوليد إبن يزيد بن عبدالملك أهم من بسطها منهم وفصلّها .

وقد اعلنوا ان الله حباهم الخلافة لانهم نخبة العرب نسباً وخلقاً ، وصفوة المسلمين ورعا وتقى .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

الازدي ، محمد بن عبدالله ، ١٩٧٠م — فتوح الشام، تحقيق عبدالمنعم عامر ، القاهرة .

ابن أعثم ، أبي محمد ، ١٩٦٨م — الفتوح ، الطبعة الاولى ، مطبعة مجلس المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند .

البخاري ، محمد بن اسماعيل، ١٩٣٧م — صحيح البخاري ، المطبعة البهية ، القاهرة .

البلاذري أحمد بن يحيى — انساب الاشراف (مخطوط) ، نسخة استانبول السليمانية ، رقم ٥٩٧ — ٥٩٨ .

البلاذري ، احمد بن يحيى ، ١٩٣٨م — أنساب الاشراف ، جزء ٤، قسم٣ ، نشر ماكس شلوزنجر ، القدس .

البلاذري ، أحمد بن يحيى ، ١٩٣٦ — انساب الاشراف ، ج٥ نشر غوتين ، القدس .

البلاذري ، أحمد بن يحيى ، ١٩٧٩م — انساب الاشراف .قسم٤، ج١ ، تحقيق احسان عباس ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت .

البلاذري ،احمد بن يحيى ، ١٩٧٧ — انساب الاشراف ، ج٣ ، تحقيق محمد باقر المحمودي ، بيروت .

جرير ، ابن عطية الخطفي ، ١٩٧٢م — شرح ديوان جرير ، جمع وشرح محمد اسماعيل الصاوي ، دمشق ، مكتبة محمد حسين النوري ، بيروت ، الشركة اللبنانية للكتاب .

الجريري ، أبي الفرج ، ١٩٨١م — الجليس الكافي والانيس الناصح الشافي تحقيق محمد مرسولي الخولي ، عالم الكتب ، بيروت .

ابن الجوزي ، ابي الفرج عبدالرحمن ، ١٩٨٤م — سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، تحقيق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ابن ابي الحديد ، عبدالحميد ، ١٩٥٩م — شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، احياء الكتب العربية ، القاهرة .

الحصري القيرواني ، أبي اسحاق ، ١٩٥٣ — زهر الآداب وثمر الالباب ، تحقيق علي البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

أبو داؤد ، سليمان بن الاشعث — سنن أبي داود ، راجعه محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

الدوري ، عبدالعزيز ، ١٩٥٠م — النظم الاسلامية ، مطبعة نجيب ، بغداد.

الدوري عبدالعزيز ، ١٩٨١م — الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الاول ، مقالة في مجلة دراسات عربية واسلامية مهداة الى احسان عباس ، بيروت ، الجامعة الاميركية .

الدوري ، عبدالعزيز ، ١٩٦١م ، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

الذهبي ، محمد بن أحمد ، ١٩٧٩م — تاريخ الاسلام ، تحقيق حسام الدين القدسي ، مطبعة القدس ، القاهرة .

الزبير بن بكار ، ١٩٧٢م — الاخبار الموفقيات ، تحقيق سامي مكي العاني مطبعة العاني ، بغداد .

ابن سعد ، محمد ، ١٩٧٥م — الطبقات الكبرى، دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر ، بيروت .

الطبري ، محمد بن جرير ، ١٩٦٦م — تاريخ الرسل والملوك ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة .

الفرزدق ، همام بن غالب ، ١٩٥٩م — ديوان الفرزدق ، دار صادق للطباعة والنشر ، بيروت .

القاضي عبدالجبار ، عبدالجبار بن محمد ١٩٧٤م — فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، تحقيق فؤاد السيد ، الدار التونسية للنشر ، تونس .

القاضي ، وداد ، ١٩٧٤م — الكيسانية في الادب والتاريخ ، دار الثقافة ، بيروت .

ابن كثير ، ابو الفداء الحافظ ، ١٩٦٤م — البداية والنهاية ، مكتبة المعارف الرياض .

ابن كثير ، ابو الفداء الحافظ ، ١٩٦٩م — تفسير القرآن العظيم ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

الكندي ، محمد بن يوسف ، ١٩٥٩م — ولاة مصر ، تحقيق حسين نصار دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت .

ابن ماجة ، أبو عبدالله محمد ، ١٩٧٥م — صحيح سنن ابن ماجة ، تحقيق فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

المسعودي ، ابي الحسن علي ، ١٩٦٥م — مروج الذهب ومعادن الجوهر ، وضع الفهارس أسعد داغر ، دار الاندلس للطباعة والنشر ،بيروت.

مسلم ، ابو الحسين ، ١٩٧٨م — صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت .

مؤلف مجهول — الامامة والسياسة ، تحقيق محمد طه الزيني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

النابغة الشيباني ، عبدالله بن مخارق ، ١٩٣٢م — ديوان نابغة بني شيبان ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة .